

الدبلوماسية البريطانية والعدوان الإيطالي

على ليبيا

١٩١١ - ١٩١٢

الدكتور هاشم التكريتي

كان الاستعماريون الطليان يعملون منذ وقت طويل للاستيلاء على طرابلس وبرقة وهما الاقليتان اللذان يكونان مع فزان الجمهورية العربية الليبية في الوقت الحاضر ، لأهميتها الاستراتيجية ولاتخاذهما ركيزة للتوسع اللاحق . لقد أراد استعماريو ايطاليا الاستيلاء على هذين الاقليمين لا لتقوية مركز ايطاليا السياسي والعسكري في البحر المتوسط فحسب وإنما ليجعلوا منها سوقاً واسعة للبضائع الإيطالية ومورداً للمواد الخام ومجالاً لتشغيل رؤوس الأموال الإيطالية أيضاً . وكان بنك روما من بين المؤسسات المالية الإيطالية التي كانت لها مصلحة كبيرة في الاستيلاء على الاقليمين المذكورين وقد لعبت ادارة هذا البنك دوراً كبيراً في اشعال الحرب التركية - الإيطالية^١ .

١ يوكد جيوليتي رئيس وزراء ايطاليا انذاك بصراحة ان بنك روما « كان له في برقه وطرابلس مصالح مهمة من واجب الحكومة الإيطالية ان تحميها » انظر :
G. Giolitti; The Memoirs of my life, London and Sydney, 1923, p. 251.

وهكذا أخذت الحكومة الإيطالية منذ بداية القرن العشرين توجه جهودها نحو الاستعداد لغزو طرابلس التي أخذ يزورها الكثير من أعضاء البرلمان الإيطالي لجمع المعلومات . وكان ضباط الاسطول الحربي الإيطالي يمسحون سواحل طرابلس متنكرين في زي الصيادين .

وكرست الدبلوماسية الإيطالية جهودها أيضاً لتمهيد السبيل للاستيلاء على طرابلس وبرقه وحاولت أن تستغل التناقضات السائدة بين المعسكرين الاستعماريين اللذين انقسمت اليها أوروبا آنذاك من أجل تأمين حيادها في حالة قيام الحرب بين إيطاليا والدولة العثمانية التي كانت طرابلس وبرقه تابعين لها .

لقد كانت الظروف في بداية القرن العشرين مناسبة لتحقيق نوايا إيطاليا لأن جميع الدول الأوروبية الكبرى كانت تنظر بعين الرضا إلى مطامع إيطاليا في شمال أفريقيا ، فالنمسا كان من مصلحتها أن تشغل إيطاليا في شمال أفريقيا لأن ذلك يصرفها عن الأهتمام بصفة الأدرياتيك الشرقية التي كانت الدولتان تتنافسان فيها على النفوذ ، وفرنسا لم تكن تعارض في استيلاء إيطاليا على طرابلس وبرقه لأنها كانت قد اعترفت لإيطاليا بالنفوذ فيها بموجب اتفاق عقد بين الدولتين قبل ذلك . أما ألمانيا فقد أفهمتها الحكومة الإيطالية استحالة تجديد الحلف الثلاثي إذا ما عارضت ألمانيا نوايا إيطاليا الرامية إلى احتلال ولاية طرابلس . وبسبب من المنافسة القائمة بين ألمانيا وانجلترا لم ترد هذه الأخيرة أن تعارض إيطاليا في هذه المسألة ، وأما روسيا القيصرية فقد كان من مصلحتها اضعاف الدولة العثمانية عن طريق استيلاء إيطاليا على بعض ولاياتها البعيدة .

وهكذا حظيت إيطاليا بموافقة دول الحلف الثلاثي والوفاق الثلاثي على السواء ، لان جميع هذه الدول انطلقت في هذه القضية من اقتناعها بأن اتجاه السياسة الإيطالية في المستقبل سيحدده موقف هذه الدولة أو تلك أو

هذه المجموعة من الدول أو تلك من العدوان الإيطالي على الأقاليم العثمانية في شمال أفريقيا .

وحدثت أزمة مراکش الثانية وتوطد النفوذ الفرنسي فيها فهياً ذلك للحكومة الإيطالية الفرصة المناسبة لتحقيق خططها بشأن برقه وطرابلس^١ وكانت إيطاليا تخشى من تركيز واتساع النفوذ الألماني في هذين الأقليمين^٢ ولا تنظر باطمئنان إلى الاسطول العثماني الذي قد يقوى بعد بضع سنوات فدفعها هذا وذاك إلى الاسراع في الشروع بعملية الاحتلال .

وهكذا ما ان حل صيف ١٩١١ حتى قررت الحكومة الإيطالية أن الوقت قد حان للأستيلاء على طرابلس وبرقه . غير أن الدبلوماسية الإيطالية رأت ضرورة الحصول على موافقة الدول الأوربية الكبرى قبل أن تقوم الحكومة الإيطالية بأية خطوة في هذا السبيل . لقد كانت الدبلوماسية الإيطالية تعلق أهمية كبرى على موقف إنجلترا من النزاع الإيطالي - التركي فأخذت الأوساط الحاكمة في إيطاليا تبذل قصارى جهدها من أجل أن تجذب الحكومة البريطانية إلى جانبها ملوحة لها ببعض المكاسب ، وعلى هذا الأساس بدأ السفير الإيطالي في لندن نشاطه لسبر غور الحكومة البريطانية

١ لقد استغلت الاوساط الاستعمارية في إيطاليا ازمة مراکش بشكل واسع لتحقيق نواياها بشأن طرابلس ، فنتيجة لتوطيد نفوذ فرنسا في مراکش توسعت الحملة التي تدعو الى الاستيلاء إيطاليا على طرابلس الى درجة دفعت السفير الانجليزي في روما الى ان يكتب الى حكومته قائلاً ان « الرأي العام في إيطاليا سيطيح بغضب بأية حكومة توافق بصمت على ما يعني في الواقع استيلاء فرنسا على قسم من مراکش دون نضال للحصول على وضع مشابه لأيطاليا في طرابلس » - :

British Documents on the origins of war, 1898 - 1914, Ed. by G.P. Gooch and H. Temperly, London, 1926 - 1938, vol. IX, Part 1, No. 224, p. 268.

٢ نظر حول ذلك : -

British Documents; vol. IX, Part 1, No. 221, p. 264; G. Giolitti; op. cit., p. 254.

فأشار إلى ضرورة اتخاذ إيطاليا اجراءات حازمة محتجاً بما كانت تضعه الحكومة العثمانية ، على حد قوله ، من عراقيل امام نشاط إيطاليا الاقتصادي في طرابلس . ومن أجل أن تضمن الدبلوماسية الإيطالية سكوت إنجلترا عن العدوان الإيطالي المرتقب أخذت تؤكد لها بأنه « عندما تحين الفرصة المناسبة فان سياسة الأبواب المفتوحة ستطبق بدقة تامة ولن تكون اعادة النظر في الحدود (بين برقه ومصر) موضوعاً للنزاع »^١ . ان ذلك يعني عندما يترجم من اللغة الدبلوماسية إلى لغة الواقع أن الحكومة الإيطالية أعطت موافقتها على أن تحتل إنجلترا مناطق برقه المتاخمة لمصر . وقد حدث ذلك بالفعل اثناء الحرب التركية الإيطالية^٢ .

وكان من دواعي غبطة المستعمرين الطليان أن وجدوا لدى إنجلترا مساندة حقيقية لخططهم بشأن برقه وطرابلس . ففي ١٦ أغسطس ١٩١١ أكد وزير الخارجية البريطاني ادوارد كاري للسفير الإيطالي في لندن ، وهو يجيب على شكوى الأخير من تصرف الدولة العثمانية تجاه مصالح إيطاليا الاقتصادية في طرابلس : أن إنجلترا ستكون إلى جانب إيطاليا في هذه القضية^٣ ، وطمأنه بأنها ستفهم الحكومة العثمانية بأن أي عمل ستقوم به إيطاليا « لحماية مصالحها » سيكون سببه الأتراك أنفسهم^٤ .

على أننا يجب أن لا نستغرب من ذلك فالأوساط الحاكمة في إنجلترا قررت بعد أن درست القضية بعناية ، ان تساند إيطاليا في نزاعها مع الدولة العثمانية ، وقد كان تشرشل صريحاً بهذا الشأن عندما كتب يقول :

British Documents; vol. IX, Part 1, No. 245, p. 281. ١

H. A. Gibbons; The New Map of Africa, (1900 - 1916), New York, 1916, p. 123. ٢

British Documents; vol. IX, Part 1, minute, p. 266. ٣

British Documents; vol. IX, Part 1, No. 231, p. 274; No. 221, p. 264. ٤

« ولكن من الواضح باننا يجب أن نفضل ايطاليا على تركيا في جميع الأحوال سواء أكانت محقة أم لا »^١.

لقد أرضى موقف إنجلترا هذا الحكومة الإيطالية التي سارعت بعد أن تأكدت من موقف الدول الأخرى إلى تنفيذ خططها الآتفة الذكر بشأن طرابلس وبرقة فوجهت إلى الدولة العثمانية في ٢٣ سبتمبر ١٩١١ مذكرة استفزازية عبرت فيها عن قلقها بشأن « هيجان » سكان طرابلس الذي يهدد الرعايا الإيطاليين - كذا - وطالبت بإيقاف نقل الأسلحة إلى الأقاليم العثمانية في شمال افريقيا ، وبعد يومين أي في ٢٥ سبتمبر - وجهت ايطاليا مذكرة احتجاج جديدة إلى تركيا ، ونتيجة لذلك طلب السفير العثماني في لندن بتفويض من حكومته أن تقوم إنجلترا بنصح الحكومة الإيطالية ودفعها إلى التخفيف من مطالبها ، غير أن الحكومة البريطانية رفضت ذلك معلنة أنه ليس في نيتها التدخل حتى لو سمحت ايطاليا لنفسها باحتلال طرابلس^٢.

ومع كل ذلك رأت الحكومة الإيطالية أنه من الضروري التأكيد مرة أخرى من موقف إنجلترا قبل أن تبدأ عملياتها الحربية فعلاً ضد الدولة العثمانية ، ولهذا بادر السفير الايطالي في لندن إلى سؤال مساعد وزير الخارجية الانجليزي نيكلسون في ٢٧ سبتمبر عما اذا كان قد حدث تغير ما في موقف إنجلترا في قضية طرابلس فاجابه نيكلسون بانه لا يعلم بان تغيراً ما قد حدث^٣ . وفضلاً عن ذلك أكد كرى نفسه للسفير ، الإيطالي بعد تسلم الحكومة العثمانية للانذار الإيطالي مباشرة بان إنجلترا غير عازمة على التدخل في الحرب المقبلة بين ايطاليا وتركيا^٤.

British Documents; vol. IX, Part 1, No. 240, p. 278.

G. Giolitti; op. cit., pp. 263-264.

British Documents; vol. IX, Part 1, No. 245, p. 281

British Documents; vol. IX, Part 1, No. 250, p. 284

وبعد أن حصلت الحكومة الإيطالية على موافقة إنجلترا وبدون أن تنتظر جواباً على مذكرتها السابقة وجهت للحكومة العثمانية في ٢٨ سبتمبر ١٩١١ انذاراً جاء فيه ان الحكومة الإيطالية قررت « حفظاً لكرامتها » ومصالحها ان تحتل طرابلس وبرقه اللتين تعيشان في ظل الحكم العثماني حالة بالغة من الفقر والمرض احتلالاً عسكرياً . وطلب الانذار من الحكومة العثمانية ان تتخذ الاجراءات اللازمة « لكيلا تلاقى ايطاليا من جانب السلطات العثمانية (في طرابلس وبرقه) أية معارضة »^١ .

وقد عبرت الحكومة العثمانية في جوابها على هذا الانذار عن استعدادها لأزالة أية عقبة تعيق التوسع الاقتصادي الإيطالي في طرابلس واقترحت تسوية النزاع سلمياً . ولكن ذلك لم يقنع الحكومة الإيطالية التي بادرت في ٢٩ سبتمبر إلى ارسال مذكرة جديدة إلى الدولة العثمانية اعلنت فيها الحرب عليها .

لقد اعلنت جميع الدول الكبرى بما فيها إنجلترا حيادها رسمياً في هذه الحرب غير أن الحياد لم يكن في نظر الدبلوماسية الإنجليزية ليمنع إنجلترا من التدخل في النزاع عندما تريد ذلك . لقد كشف عن ذلك فيما بعد مساعد وزير الخارجية الإنجليزي اكلاند عندما كان يجيب على أسئلة النواب في مجلس العموم البريطاني في ٢٠ مارس ١٩١٢ حيث قال : « عندما يشن بلد ما الحرب فان عليه أن يقوم بكل العمليات بمبادرته الخاصة ولكن البلدان المحايدة الأخرى يجب أن تحتفظ بحريتها في العمل اذا ما تأثرت مصالحها »^٢ .

١ انظر نص الانذار الإيطالي في : -

T. Barclay; The Turco-Italian War and its problems, London, 1912, pp. 109-111.

The Parliamentary debates, « Commons », ser. 5, vol. XXXV, p. 1864. ٢

لقد درس الساسة الانجليز الوضع جيداً وتوصلوا إلى أن حرب إيطاليا ضد الدولة العثمانية تستجيب لمصالح الاستعمار البريطاني فهي في رأي الدبلوماسية الانجليزية تمنح إنجلترا فرصة للتضييق بواسطة إيطاليا على النضال الوطني الذي كان يخوضه سكان شمال أفريقيا ضد الاستعمار الأوربي . إضافة إلى ذلك كان الساسة الانجليز يعتقدون بأن حرباً تشنها إيطاليا ، حليفة المانيا على الدولة العثمانية ستوجه ضربة قاصمة لسمعة المانيا في الدولة العثمانية بل وفي الشرق الأوسط عموماً ، الأمر الذي سيسهل على الحكومة الانجليزية الضغط على الحكومة العثمانية وابعادها عن الميل إلى المانيا ومن ثم تعزيز النفوذ الانجليزي فيها . لقد أشار إلى ذلك السفير الروسي في لندن بنكندورف في رسالة كتبها إلى حكومته بخصوص موقف وزارة الخارجية البريطانية من الحملة الواسعة التي شنتها الصحف الانجليزية ضد الفضائع التي كان الإيطاليون يرتكبونها في طرابلس فقال : « ان السير ارثر (نيكلسون) يأسف لموقف هذه الصحف وهو يعتقد أنها ستغير موقفها بسرعة وترجع إلى التعبير عن العطف الانجليزي التقليدي على إيطاليا ، وهذه أيضاً وجهة نظر السير أ . كري لأن إنجلترا لا يمكنها ان ترضى عن أعمال تركيا الأخيرة (بقصد ميل حكومة الأتحمادين إلى المانيا)^١ . ومن المفيد أن نلاحظ ما كتبه نيكلسون نفسه بهذا الشأن فقد جاء في رسالة له كتبها إلى السفير الانجليزي في فينا كارتررايت في ٢ أكتوبر ١٩١١ ما يأتي :

« يبدو لي انه من الحماقة اغضاب بلد كنا معه دائماً في علاقات ودية وصداقته عزيزة علينا (يقصد إيطاليا) من أجل الحفاظ على علاقات حسنة مع تركيا التي كانت بالنسبة لنا مصدراً لأزعاج بالغ والتي تعتبر حكومتها واحدة من أسوأ الحكومات التي يمكن تصورها »^٢ .

١ العلاقات الدولية في عصر الاستعمار ؛ وثائق من أرشيفات الحكومتين القيصرية والموقفة ، ١٨٧٨ - ١٩١٧ ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، رقم ٥٥١ ، ص ٩٧ . (باللغة الروسية) .

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 267, p. 298.

على ان صحيفة « التايمس » المطلعة على خبايا السياسة البريطانية كانت أكثر صراحة عندما كتبت تقول ان على الاتحاديين الذين كانوا يعملون على تنمية الصداقة مع المانيا بالرغم من المساندة الودية التي ابدتها إنجلترا للنظام الجديد في تركيا ان لا ينتظروا المساعدة البريطانية^١ .

وهكذا كانت الرغبة في ابعاد الحكومة العثمانية عن المانيا وتشويبه سمعة الأخيرة في أعين الأتراك هي التي دفعت كري قبل نشوب الحرب إلى ان يحدد موقف إنجلترا في النزاع المقبل بين ايطاليا والدولة العثمانية بالشكل التالي : - « اذا ما لحأ الأتراك الينا عندما تقوم ايطاليا بسياستها العدوانية فيجب علينا ان نحيلهم إلى المانيا والنمسا حليفتي ايطاليا^٢ » . وهذا ما حدث بالفعل فعندما طلب الصدر الأعظم من السفير الانجليزي في اسطنبول النصح بشأن نوايا ايطاليا أجابه السفير بأنه في حالة لا تتمكنه من ابداء أية نصيحة وان على تركيا ان توجه إلى أعضاء الحلف الثلاثي^٣ .

ومن الجهة الأخرى لعبت رغبة الحكومة البريطانية في اخراج ايطاليا من الحلف الثلاثي بل وجلبها إلى الوفاق الثلاثي دوراً مهماً ان لم يكن اساسياً في تحديد موقف إنجلترا خلال النزاع الايطالي - التركي ، فقد حذر السفير الانجليزي في روما رود حكومته بان اتجاه السياسة الإيطالية المقبل سيعتمد على موقف الدول من نوايا ايطاليا تجاه طرابلس^٤ . لقد افترض الساسة الانجليز بان المانيا لن تستطيع ان تقدم لحليفها ايطاليا مساندة حازمة لخططها تجاه طرابلس وبرقه خوفاً من فقدان مواقعها المهمة في الدولة العثمانية ، الأمر الذي سيؤدي إلى توتر العلاقات الإيطالية -

« The Times », September 29, 1911.

British Documents; vol. IX, part 1, No. 231, p. 274.

British Documents; vol. IX, part 1, No. 237, p. 277

British Documents; vol. IX, part 1, No. 224, p. 268.

الألمانية ويعطي الدبلوماسية البريطانية امكانية استغلال هذا الظرف لحذب إيطاليا إلى الوفاق الثلاثي . لقد كتب دولكوروكي وكان سفيراً لروسيا في روما إلى حكومته بهذا الشأن يقول : « ستستغل بريطانيا العظمى وفرنسا ازدياد أهمية إيطاليا دولياً لأدخالها في اتفاقية ما تضعف مشاركتها في الحلف الثلاثي ، ويمكن ان يكون الدافع لمثل هذه الاتفاقية في رأيي اقترح فرنسا وبريطانيا العظمى بان تضمنا لأيطاليا ممتلكاتها الجديدة (في شمال افريقيا^١) » .

وهكذا كانت العوامل المشار إليها في اعلاه اسباباً دفعت الحكومة البريطانية إلى ان تتخذ موقفاً مناسباً لإيطاليا في النزاع التركي - الإيطالي فانطلاقاً من هذه العوامل حدد كري خط الدبلوماسية البريطانية في هذه القضية على النحو التالي : « من المهم جداً الآن ان لا نقف نحن ولا فرنسا ضد إيطاليا^٢ » .

وانسجاماً مع هذا الموقف اسرعت الحكومة البريطانية إلى اعلان حياد مصر ، وهي بذلك لم تخرق سيادة الدولة العثمانية التي كانت مصر تابعة لها رسمياً ولم توجه ضربة لهيبة الحكومة العثمانية فحسب وانما سببت لها متاعب عسكرية يصعب تذليلها لان السلطات الانجليزية منعت مرور القطعات العسكرية التركية إلى طرابلس عن طريق مصر وبهذا جردت الدولة العثمانية من أنسب طرق الاتصال مع ممتلكاتها البعيدة في شمال أفريقيا وحرمتها من ...١٩ جندي كان على مصر ان تقدمها للجيش العثماني ، فقد حدد المندوب السامي الانجليزي في مصر كتشنر بانه سيستدعي عدداً مماثلاً من

١ العلاقات الدولية . سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ١ ، رقم ٥١ ص ٤٦ ؛ حول ذلك انظر أيضاً العلاقات الدولية . سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٧١٤ ، ص ٢٢٩ ؛ ورقم ٧١٥ ص ٢٣٠ وكذلك :

British Documents; vol. IX, part 1, No. 286, pp. 309-310; No. 296, pp. 315-316.

British Documents; vol. IX, part 1, No. 231, p. 274.

الجنود الانجليز لكي « يدافعوا » عن مصر في حالة ما اذا انضم هؤلاء إلى الجيش العثماني^١ وفضلاً عن ذلك قامت حكومة مصر باعلان حالة الحرب في منطقة الحدود مع ليبيا فكانت فصائل الجنود التي يقودها ضباط انجليز تقوم بتفتيش القبائل ومصادرة السلاح^٢. وعمدت الحكومة الانجليزية أيضاً إلى احتجاز سفينتين كانت الدولة العثمانية قد أوصلت على بنائهما في إنجلترا قبل الحرب .

أما الدول الأوربية الكبرى الأخرى فقد اتخذت كأجلترا موقفاً موافقاً لإيطاليا اذ أنها كانت تنطلق من مصالحها الاستعمارية وتنظر إلى الحرب التركية - الإيطالية من وجهة نظر علاقاتها بالجهتين المتحاربتين . واستخدام الوضع الناجم عن الحرب للحصول على ما يمكن من المكاسب . ومن هذه الزاوية أيضاً كانت هذه الدول تنظر إلى مسألة الوساطة بين الجهتين المتحاربتين وهي المسألة التي أثارها مذكرة الحكومة العثمانية إلى الدول في ١ أكتوبر ١٩١١ والتي طلبت فيها الضغط على ايطاليا من أجل « قبول المقترحات المذكورة في جواب تركيا على الانذار الايطالي^٣ » .

لقد رفضت الدول الكبرى جميعها الاستجابة لهذا الطلب العثماني ، وجاء في جواب الحكومة البريطانية ان اعلان الحرب « قد جعل التدخل الفوري أكثر صعوبة وهو لا يسمح بعد الآن وإلى حين ظهور نتائج ، العمليات الحربية بالحديث عن حصانة الأقاليم التركية^٤ » .

لقد أثار العدوان الإيطالي على ليبيا موجة استياء ظاهر لدى الرأي

١ W. C. Askew; Europe and Italy's acquisition of Libya, 1911-1912, Durham, 1943, p. 71.

٢ نوفيه فريميا « ٣١ ديسمبر ١٩١١ (١٣ يناير ١٩١٢) »

٣ العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٥٠٠ ص ٥٥ .

٤ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ جزء ١٨ قسم ٢ رقم ٥٠٣ ص ٥٦

العام الانجليزي وأبرزت الصحف الإنجليزية فظائع الإيطاليين في طرابلس وأدانتها ، وقد أثار ذلك قلق الأوساط الحاكمة في إيطاليا فاستدعي وزير الخارجية الإيطالي دي سان جوليانو - السفير الإنجليزي في روما وعبر له عن استياء حكومته من موقف الصحافة الإنجليزية غير الودي تجاه إيطاليا^١ كذلك كتب محرر جريدة « تريبونا » الإيطالية ، إلى جريدة التايمس اللندنية يشكو موقف الصحافة الإنجليزية ويشير إلى ان هذا الموقف قد ولد انطباعاً سيئاً في إيطاليا^٢ . ونتيجة لذلك قررت الأوساط الدبلوماسية في إنجلترا الضغط على الصحافة الإنجليزية وحملها على الاعتدال في هجومها على إيطاليا مدفوعة الى ذلك بخوفها من أن الحملة الصحفية ربما تفقد إنجلترا عطف إيطاليا من جهة وتؤدي إلى تشجيع تركيا من جهة أخرى^٣ . وجاء نجاح مساعي الدبلوماسية الإنجليزية في هذا السبيل سريعاً وفعالاً ، نتيجة للجهود التي بذلتها وزارة الخارجية البريطانية أصبحت الصحافة الإنجليزية أكثر « تعقلاً » تجاه إيطاليا^٤ .

في ٩ أكتوبر ١٩١١ أرسلت الحكومة العثمانية إلى الدول مذكرة جديدة تضمنت أساساً جديداً يمكن ان تقوم عليه المفاوضات بين إيطاليا وتركيا بوساطة من الدول الأوربية . لقد عبرت الحكومة العثمانية في هذه المذكرة عن استعدادها للأعتراف بمطالب إيطاليا بالقدر الذي ستعترف فيه الدول الكبرى بأن هذه المطالب تستجيب لمتطلبات الوضع آنذاك وبشرط الاحتفاظ بحقوق السيادة التركية^٥ .

British Documents; vol. IX, part 1, No. 256, p. 288; No. 257, p. 289. ١

« The Times », October 2, 1911. ٢

British Documents; vol. IX, part 1, No. 256, minute, p. 288. ٣

British Documents; vol. IX, part 1, No. 257, minute, p. 291; No. 256, minute, p. 289. ٤

٥ العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٥٦٥ ، ص ١١٥ . وكذلك جاستيه رقم ٣ ص ١١٥ .

غير أن دول الوفاق الثلاثي علمت ان المانيا هي التي أشارت بتقديم هذه المذكرة^١ ولذا أخذت تنظر بعين الريبة إلى استجابة المانيا لطلب تركيا هذا واقترح المانيا على الدول بأن يقوم ممثلو هذه الدول في روما باستيضاح وجهة نظر الحكومة الإيطالية بشأن هذه المقترحات التركية . لقد ارتاب كيري كثيراً بموقف المانيا هذا ووجد فيه تعبيراً عن رغبة الدبلوماسية الألمانية في رفع المسؤولية عن المانيا في حالة فشل الوساطة ولذا اخبر الحكومة العثمانية بان إنجلترا ترفض التوسط مبرراً ذلك بأن المذكرة التركية الجديدة لم تتضمن أسساً محددة وبأنه يرغب في أن تكون أكثر وضوحاً^٢ . وهكذا اخفقت المذكرة الجديدة في ان تدفع الدول إلى التوسط لإنهاء الحرب .

لقد طالبت الحرب دون ان تستطيع إيطاليا أن تحقق نتائج جوهرية مما دفع الحكومة الإيطالية إلى توسيع منطقة العمليات الحربية حتى شملت البحر الأحمر وبحر الأدرياتيك والبحر الأيونني كما قام الاسطول الإيطالي بقصف ميناء بريفيزا الألباني ، مما أثار قلق النمسا حليفة إيطاليا إلى درجة « كان من المتوقع معها حدوث القطيعة بين الدولتين الحليفيتين^٣ » . حتى أن الصحف النمساوية أخذت تهاجم وزير خارجية النمسا إيرنتال متهمه اياه بالتفريط بالمصالح النمساوية في البانيا وبحر الأدرياتيك وبالتهاون تجاه المطامع الإيطالية في هذه المناطق^٤ .

١ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٨ قسم ٢ ، رقم ٥٦٧ ص ١١٦ . وكذلك جاستيه رقم ٥ ص ١١٦ .

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 281, p. 306

٣ الأرشيف الأحمر ، جزء ١ (٨) ، ١٩٢٥ ، ص ٢٠ . (باللغة الروسية) . حول نفس الموضوع انظر ايضاً : الأرشيف الأحمر ؛ جزء ٢ (٩) ، ١٩٢٥ ، ص ٦ .

٤ « The Times » , October, 13, 1911.

وهكذا كان فشل المحاولة الألمانية الأخيرة للتوسط من جهة وتوسيع العمليات الحربية الإيطالية في بحر الأدرياتيك وعلى الساحل الألباني من جهة ثانية ، سبباً دفع الحكومة النمساوية إلى ان تقدم للدول في ٢٣ أكتوبر اقتراحاً جديداً للتوسط يقوم في جوهره على توحيد جهود جميع الدول الكبرى لتحقيق اتفاق حول خطة عامة من شأنها أن تؤدي في اللحظة المناسبة إلى العمل بصورة مشتركة في كل من روما واسطنبول^١ وفي الوقت نفسه توجه ايرنتال إلى الدول الكبرى يسألها عما اذا كان من الواجب اعتبار اعلان ايطاليا ضم طرابلس اساساً للتوسط أم أن الدول من حقها ان تبدي شروطها لأيقاف الحرب وتجنب التعقيدات^٢ .

لقد فهم كري هذا الاقتراح النمساوي على أن المسألة تتعلق بضم ايطاليا لطرابلس ولهذا فقد نص في جوابه بأن ذلك لا يعني وساطة الدول الخمس وانما محاولة هذه الدول الضغط على الحكومة العثمانية . واقترح بأن يقوم سفراء الدول في اسطنبول اولاً بابداء وجهات نظرهم فيما يتعلق بالأحوال في تركيا وان يستوضحوا عما اذا كان الوقت ملائماً للتدخل^٣ .

غير أن الوضع الدولي اصبح أكثر تعقيداً نتيجة لأن ايطاليا أصدرت في ٥ نوفمبر ١٩١١ بياناً بضم طرابلس وبرقه . وذلك قبل أن يستطيع جيشها انجاز احتلال هذه المناطق . لقد دفع الحكومة الإيطالية إلى ذلك طول أمد الحرب دون أن يحرز الجيش الإيطالي إي نصر حاسم ورغبتها في قطع الطريق أمام ما أخذ يتردد بين الدول من حديث حول الحفاظ على حقوقه السلطان العثماني في هذه الأقاليم وأملها في أن يؤدي ذلك إلى

British Documents; vol. IX, part 1, No. 290, p. 312

١
٢ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٧٠٢ ، ص ٢١٦ .

British Documents; vol. IX, part 1, No. 294, p. 314.

اضعاف المقاومة البطولية التي لاقاها الإيطاليون في ليبيا واخيراً رغبتها في وضع الدول الأوربية أمام الأمر الواقع املاً منها في ان ذلك سيدفع هذه الدول إلى العمل على مباشرة هذه الوساطة بشكل أكثر فعالية .

ولكن هذه التقديرات الإيطالية لم يكن لها ما يبررها ذلك أن جميع الدول الكبرى انطلاقاً من مصالحها الخاصة اعتبرت البيان الإيطالي عملاً سابقاً لأوانه . لقد خشيت دول الوفاق الودي ان يؤثر هذا البيان الإيطالي على نظام الامتيازات ويلحق الضرر بمصالحها التجارية في الامبراطورية العثمانية ، ولهذا وبالرغم من أن السفير الإيطالي في لندن في محاولته للحصول على اعتراف الحكومة البريطانية بالبيان الإيطالي أكد ككري ان الحكومة الإيطالية سوف تستجيب لرغبات إنجلترا بكل الوسائل فيما يتعلق بالحقوق التجارية الا أن ككري أجاب بشكل غامض محتجاً بضرورة التشاور مع الدول الأخرى الموقعة على الاتفاقيات الدولية التي مسها هذا البيان وبضرورة معرفة إلى أي مدى مس هذا البيان الاتفاقيات التجارية الإنجليزية^١ . لقد استاءت السياسة الإنجليزية من البيان الإيطالي ايضاً لأن إيطاليا أعلنته قبل أن تستولي على طرابلس نهائياً ومن شأن ذلك في نظر الدبلوماسية الإنجليزية ان يطيل الحرب إلى أجل غير محدد^٢ وهو ما كانت تخشاه إنجلترا . ثم ان الدبلوماسية الإنجليزية لم تكن ترغب في التقيد بالاعتراف بالبيان المذكور وانما كانت تفضل البقاء حرة من أي التزامات رسمية تجاه الجهتين المتحاربتين ، الأمر الذي يمكنها من العمل بالشكل الذي تريده وفي الوقت الذي تراه مناسباً ، يضاف إلى ذلك أن الحكومة الإنجليزية رفضت الاعتراف بالبيان الإيطالي لأنها لم تكن ترغب في اثاره استياء تركيا ، لذلك فالدبلوماسية الإنجليزية في هذه الفترة لم يكن في نيها أن تعمل أي

British Documents; vol. IX, part 1, No. 301, p. 319.

١ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٨٢٤ ، ص ٣٢٤ .

شئ من شأنه أن يثير انطباعاً سيئاً في اسطنبول » على حد تعبير السفير الروسي في لندن بنكندورف . غير أن ذلك لم يكن يعني أن إنجلترا كانت على استعداد لأن تقف بحزم في وجه النوايا الإيطالية ، فالمستولون في لندن كما يذكر بنكندورف نفسه « قد استكانوا تماماً لحقيقة أن طرابلس ستصبح ايطالية عاجلاً أو آجلاً »^١ ، ولهذا بالذات كان ككري يعتقد أن الأساس الوحيد الذي ستجري بموجبه المحادثات بين البلدين المتحاربين ، هو ماهية التعويض الذي ستكون ايطاليا مستعدة لأن تقدمه لتركيا ، ولم يكن مستعداً لمباشرة الوساطة الا على هذا الأساس فقط^٢ .

وهكذا فشلت الحكومة الإيطالية في دفع الدول الكبرى إلى التدخل في النزاع لصالح ايطاليا عن طريق بيانها الذي أعلنت فيه ضم طرابلس وبرقه ، مما دفعها إلى البحث عن وسيلة جديدة لتحقيق هذا الهدف . وكانت الوسيلة الجديدة في نظر الساسة الإيطاليين هي توسيع نطاق العمليات الحربية بحيث تشمل منطقة المضائق^٣ التي كان بقاؤها مفتوحة مهماً جداً لتجارة الدول الاوربية وبصورة خاصة لتجارة إنجلترا وروسيا ، غير أن خوف الحكومة الإيطالية من أن تصبح في النهاية معزولة دبلوماسياً وقلقها من الأخبار التي كانت تشير إلى أن روسيا عازمة على القيام بمبادرة دبلوماسية في روما واسطنبول هدفها دفع الحكومة الإيطالية إلى الامسك عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى غلق المضائق دفعها إلى تأجيل هذه الخطوة فأعلنت عن تخليها عن محاصرة الدردنيل^٤ . وقد استغلت

١ العلاقات الدولية . سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٨٣٦ ، ص ٣٣٥
British Documents; vol. IX, part 1, No. 287, p. 311.

٢ الدردنيل والبسفور

٣ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ١ ، رقم ١٠٥ ، ص ٩٨ - ٩٩ .

الحكومة البريطانية اعلان ايطاليا هذا لرفض المبادرة الروسية المذكورة .
ومن الجهة الأخرى توجهت الحكومة الإيطالية إلى كل من إنجلترا
وفرنسا تطلب منها ان ينصحا تركيا بالدخول في محادثات مع ايطاليا
على أساس أن تدفع الأخيرة تعويضاً مالياً لها^١ . ولكن كككري خشية
منه في أن يفسر الأتراك تدخله في هذه القضية على أنه ضغط من جانب
إنجلترا أجاب بأنه اذا ما تحتم القيام بذلك فيجب أن تقوم به الدول الخمس
الكبرى جميعها بصورة مشتركة^٢ . لقد اعتقد كككري بأنه بهذه الطريقة
يستطيع أن يبعد إنجلترا عن تهمة الضغط على تركيا ، وبذلك يقطع الطريق
على الدسائس الألمانية الموجهة إلى الايقاع بين تركيا وإنجلترا .

لقد كان الصراع الدبلوماسي بين الدول الكبرى حول قضية التوسط
بين البلدين المتحاربين مجالاً ظهرت فيه بشكل واضح التناقضات الحادة
بين هذه الدول ، وقد كانت هذه التناقضات وكذلك تنافس هذه الدول
وخصوصاً ألمانيا وإنجلترا من أجل اجتذاب الدول المتحاربة على رأس
العوامل التي أدت إلى فشل جميع محاولات التوسط لأن هذه الدول جميعها
لم ترغب في الضغط على أي من البلدين المتحاربين في الوقت الذي كان
فيه هذا الضغط ضرورياً لايقاف الحرب .

ولكن الحرب طالت بشكل غير متوقع دون أن تحقق ايطاليا نتائج
حاسمه وذلك بفضل النضال البطولي الذي خاضه ضدها الليبيون ، لقد
كانت المقاومة عنيفة إلى درجة اضطرت ايطاليا معها إلى زيادة جيشها
باستدعاء بعض الاحتياط . وكان استمرار الحرب يهدد الدول بتعقيدات
لا يمكن التنبؤ بنتائجها خصوصاً في البلقان التي كانت الأزمة فيها تتفاقم
مع استمرار الحرب ، فكان ذلك اضافة إلى رغبة الدول في أن تحتفظ

British Documents; vol. IX, part 1, No. 325, minute, p. 325.

British Documents; vol. IX, part 1, No. 313, p. 325.

بالمبادرة في مسألة الوساطة كمي ترفع سمعتها في نظر الأطراف المتحاربة من الأسباب التي دفعت هذه الدول إلى الاستمرار في تبادل الرأي بشأن شروط عقد الصلح .

وكانت المبادرة في هذه المرة من نصيب الحكومة الروسية ، ذلك أن خوف الاوساط الحاكمة في روسيا من تفاقم الأزمة في البلقان مما يندر بنشوب حرب قد تتحول إلى حرب كبيرة غير ملائمة لروسيا نظراً لعدم استعدادها آنذاك لمثل هذه الحرب ، ورغبة هذه الأوساط في تعزيز علاقاتها مع ايطاليا من أجل اتخاذها شريكاً يعتمد عليه في مجابهة نوايا النمسا في البلقان وأخيراً ايمان الساسة الروس بأن الدولة العثمانية ستفقد طرابلس عاجلاً أو آجلاً ، كل ذلك دفع وزير الخارجية الروسي سazonوف في ٢٨ ديسمبر ١٩١١ إلى تقديم اقتراحه المعروف حول الاسلوب الواجب اتباعه لعقد الصلح بين الدولة العثمانية وايطاليا . ويتلخص هذا الاقتراح في أن على الدول الأوروبية بعد أن تتفق فيما بينها بشأن مبدأ التدخل الأوروبي نفسه أن تتخذ الخطوات اللازمة في اسطنبول لاقتناع تركيا بحتمية فقدانها لطرابلس وبرقه ومن ثم التأثير عليها ودفعها إلى عقد هدنة تستمر إلى أن تظهر امكانية عقد صلح نهائي ، ويجب على تركيا ان تستخدم هذه الفترة الزمنية بين عقد الهدنة والصلح لسحب قواتها من هذين الأقليمين وفي الوقت نفسه يجب على ايطاليا أن تدفع لتركيا تعويضاً نقدياً يتفق الطرفان على تحديد مقداره ، وعلى الدول الأوروبية من الجهة الأخرى أن تعترف بسيادة ايطاليا على الأقليمين المذكورين دون أن يطلب من تركيا مثل هذا الاعتراف ، وعلى فرنسا أن تقوم بالاتصال الدبلوماسي وتنفيذ الضغط المطلوب باعتبار أن مصالحها في تركيا تقتصر على الناحية المالية فقط^١ .

١ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ١ ، رقم ٢٧٥ للاص ٢٥٥ - ٢٥٦ ؛
British Documents; vol. IX, part 1, No. 350, p. 352

وقبل أن نتعرض لموقف الحكومة البريطانية من اقتراح سازونوف ، هذا لا بد أن نلاحظ انه حدث في نهاية ١٩١١ وبداية ١٩١٢ بعض التغيير في موقف إنجلترا من الحرب التركية - الإيطالية عموماً . فقد تحول موقف الحكومة البريطانية في بداية ١٩١٢ من الحياد الودي بالنسبة لإيطاليا وهو الموقف الذي اتخذته سابقاً إلى العمل على ايجاد نوع من التوازن بين الدولتين المتحاربتين ولهذا فقد أخذت إنجلترا تنتهج سياسة من شأنها أن تعيق إيطاليا عن احراز نصر حاسم يمكن ان يؤدي إلى تقوية الحلف الثلاثي من جهة وتمنع الدولة العثمانية من تحقيق نصر من شأنه أن يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية في مصر وما بين النهرين .. الخ من جهة أخرى . ذلك أن توسيع إيطاليا للعمليات الحربية في البحر المتوسط وشمال افريقيا واحتمال استيلائها على طبرق على الساحل الأفريقي الأمر الذي يجعلها تهيمن على جانبي البحر المتوسط في هذه المنطقة وكذلك السرعة المحمومة التي كانت تبني بها السفن الحربية في إيطاليا ، كل ذلك أثار قلقاً بالغاً في لندن لانه يؤدي إلى تقوية إيطاليا والحلف الثلاثي في البحر المتوسط الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى عرقلة مواصلات بريطانيا مع الهند ويهددها . واذا كانت إنجلترا قد اتخذت قبل الحرب وفي الأشهر الأولى منها موقفاً لصالح إيطاليا فلأن الدبلوماسية الإنجليزية كانت تأمل في أنها بذلك تستطيع ان تجلب إيطاليا اليها وتبعدها عن الحلف الثلاثي ولهذا لم تعارض إنجلترا في حصول إيطاليا على جميع الفوائد التي يهيوها لها استيلائوها على طرابلس وبرقه . أما الآن أي في بداية ١٩١٢ وقد مر وقت طويل منذ بدء الحرب وعلاقات إيطاليا والمانيا لم تنقطع رغم الأزمات المتكررة التي كانت تعريها فلم تعد تنازلات إنجلترا لصالحها أمراً مرغوباً فيه في رأى الأوساط الحاكمة الإنجليزية .

ولا بد أن نشير هنا إلى أن نشاط العناصر الوطنية في مصر وتونس

ومراكش وغيرها قد انتعش بتأثير النهوض الذي أصاب حركة التحرر الوطني بسبب العدوان الإيطالي على ليبيا^١. فانعكس ذلك بشكل سلبي على موقف إنجلترا من نشاط إيطاليا في طرابلس لأن مساندة إيطاليا والحالة هذه تعني تعقيد علاقات إنجلترا مع العرب والمسلمين في المستعمرات ومناطق النفوذ البريطانية، خصوصاً أن عدوان إيطاليا على طرابلس كان قد أثار استياءً ظاهراً وشديداً في العالم الإسلامي كله^٢.

وهناك حقيقة أخرى أثرت على موقف إنجلترا في هذه المسألة أيضاً هي أن الإيطاليين أخذوا يعملون على إقامة علاقات مشبوهة هدفها تثبيت النفوذ الإيطالي في منطقة البحر الأحمر وشبه جزيرة العرب، وقد اعترف جيولتي بأن الحكومة الإيطالية قد اتصلت بقائد النضال التحرري في شبه جزيرة العرب، وابتدت له مساعدة مالية وعسكرية^٣. وكان ذلك مهدد بالقضاء على خطط الاستعمار البريطاني بخصوص جزيرة العرب لأن إنجلترا كانت هي نفسها تعمل على مساندة العناصر العربية المستاءة

١ انظر حول ذلك: - ز. ب. ياخيوفتش؛ الحرب الإيطالية - التركية، ١٩١١-١٩١٢ موسكو ١٩٦٧، ص ١٠٨ - ١٠٩. (باللغة الروسية)

٢ كتب السفير الروسي في اسطنبول تشاريكوف بهذا الشأن يقول إن القنصل الروسي في بغداد اورد معلومات تشير الى أن «المجاهدين في النجف اصدروا فتوى نشرها في الصحف المحلية وفي بيان خاص دعوا فيها جميع المسلمين الى النضال ضد الكفار...»، ومضى تشاريكوف يقول: «وليس من شك في أنه كلما طالت الحرب التركية الإيطالية... كلما اتسعت موجة الهياج الديني لدى المسلمين... هذا الهياج الذي لن يقتصر على البدو في أعماق الصحراء وإنما يشمل أيضاً السكان الحضريين في تونس والجزائر ومصر. وفضلاً عن ذلك فإن الحرب قد اثارته في الهند، استياء ٦٥ مليون مسلم يعيشون هناك...» - العلاقات الدولية، سلسلة ٢، جزء ١٨ قسم ٢ رقم ٧٥٩ ص ٢٧١ - ٢٧٢. انظر حول ذلك أيضاً: - «ريج» ٦ (١٩) تشرين اول ١٩١١، «نوفيه فريميا» ٢٥ أيلول (٨ تشرين اول) ١٩١١؛

«The Times» October 4, 1911; The parliamentary debates «Commons»

Ser. 5 vol. XXXII, pp. 136, 2557.

G. Giolitti; op. ci., p. 307.

من تركيا في جزيرة العرب أملاً في استقلالها لترسيخ النفوذ الإنجليزي في هذه المنطقة .

ومما أقلق الأوساط الحاكمة الإنجليزية أيضاً أن السفن الحربية الإيطالية أخذت بحجة مكافحة التهريب تفتش سفن الدول المحايدة ، لقد كان ذلك في رأيها اشارة تشير إلى نية إيطاليا في اقامة سيطرتها على المواصلات البحرية في المتوسط ، هذا اضافة إلى ان استمرار الحرب بين تركيا وإيطاليا كان يسبب ضرراً كبيراً للتجارة الإنجليزية في بحر ايجه والبحر المتوسط^١.

ولعب الرأي العام الإنجليزي أيضاً دوراً بارزاً في تحديد موقف الحكومة البريطانية في المسألة الراهنة^٢ ، فقد كان للأخبار التي أوردتها الصحف الإنجليزية وبعض نواب البرلمان حول أعمال العنف والاعتصاب التي كان الجيش الإيطالي يمارسها ضد السكان المدنيين في طرابلس^٣ دور كبير في اثاره استياء الرأي العام الإنجليزي من إيطاليا ومن موقف الحكومة البريطانية السلبى إزاءها .

لقد أظهرت هذه الحقائق جميعها للسانة الإنجليزية مدى الخط الذي يمكن أن يسببه للمصالح الإنجليزية استمرار الحرب التركية - الإيطالية ، فالدوائر الحاكمة الإنجليزية كانت في البداية تعتقد بأن إيطاليا ستتمكن

١ The Parliamentary debates « Commons » Ser. 5. vol. XXXII, p. 103.
٢ Entente Diplomacy and the World. Matrix of the history of Europe, 1909-1914, Edited, arranged and annotated by George Ahel Schriener, London, 1921, No. 195, pp. 164-165.

٣ حول ذلك انظر : -

The Parliamentary debates, « Commons », Ser. 5, vol. XXXII, pp. 144-145, 147; « The Times », November 9, 1911;

« ريج » ٢١ أكتوبر (٣ نوفمبر ١٩١١) ، ٢٠ (١٥ نوفمبر ١٩١١)



من دحر تركيا بسرعة ، ولم يكن ليخطر في بال أى من السياسة الأنجليز بأن الحرب يمكن أن تستمر طويلاً . لقد اعترف بذلك فيما بعد اللورد نيوتن في مجلس اللوردات عندما قال إن «العمليات الحربية كانت أصعب إلى درجة كبيرة مما كان يتوقع قبلاً» ووسع مما يمكن للمرء أن يتصوره^١ .

ولكن رغم توقعات الأنجليز والأيطاليين أيضاً^٢ استمرت الحرب وكان واضحاً ان الجيش الإيطالي عاجز عن تحقيق أى نصر حاسم ، مما أدى إلى أن فكرة الضغط على إيطاليا من أجل إيقاف الحرب أخذت تنتشر أكثر فأكثر بين أوساط السياسة الأنجليز^٣ .

في مثل هذه الظروف كان على الدبلوماسية البريطانية أن تشارك في الصراع الدبلوماسي حول مسألة الوساطة في بداية ١٩١٢ ، فالاعتبارات التي ذكرناها في أعلاه كان من شأنها أن تنعكس على موقف إنجلترا في هذه المسألة وبالتالي على موقفها من جميع الاقتراحات الهادفة إلى إيقاف العمليات الحربية ومنها اقتراح سازونوف الآنف الذكر . لقد درس السياسة الأنجليز هذا الاقتراح على ضوء الظروف المستجدة وتوصلوا إلى أن تحقيق الخطوات التي يقترحها سازونوف يمكن أن يؤدي إلى الاضرار بالمصالح الأنجليزية في الدولة العثمانية . لقد كان ككرى يرى أن اقتراح سازونوف بما يتضمنه من ضغط على الدولة العثمانية سيضع دول الوفاق الثلاثي في الدولة العثمانية في وضع سيء يمكن لألمانيا والنمسا أن تستفيدا

(١) اخبار وزارة الخارجية ١٩١٣ ، الكتاب ١ ، ص ٧٨ . (باللغة الروسية)

(٢) كان تشاريكوف قد كتب بهذا الشأن في ٢٨ نوفمبر ١٩١١ يقول: « ان عمليات إيطاليا الحربية ... التي تشن باصرار وفي ظروف عدم استعداد الأتراك التام تتقدم ببطء أكثر وبنجاح أقل مما كان يتوقعه ، على ما يبدو ، الرأي العام الإيطالي وربما الحكومة الإيطالية نفسها » - العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ١٧٥٠ ص ٢٦٤

(٣) انظر ٥٠٠ : اخبار وزارة الخارجية ١٩١٣ ، الكتاب ١ ، ص ٧٨ .

منه بتقديم اقتراح أكثر ملاءمة للحكومة العثمانية ، ثم ان الباب العالي -
في رأيه - يمكن أن يطالب بضمان للممتلكات العثمانية في أوروبا ولهذا
فانه - أي ككري - يعتقد أن الوساطة لا يمكن ان تتم الا عن طريق
عمل جماعي تشترك فيه جميع الدول ^١ .

ورفضت الدول الكبرى اقتراح سازونوف هذا مما اضطره إلى التخلي
عنه ولكنه عاد فاقترح أن تستمر الدول على تبادل الرأي بشأن الوساطة
ووافقت الدول على ذلك فكان ذلك فرصة اتبحت لكبرى لأن يقترح
على الدول خطة للتوسط بين البلدين المتحاربين جاء فيها أن على الدول
أن تتوصل إلى اتفاق على كون الوساطة ملائمة فعلاً في ضوء الظروف
السائدة ثم تتوجه بعد ذلك إلى الدولة العثمانية وتقترح عليها بشكل ودي
أن تضع قضية السلام بين أيدي الدول الكبرى التي تقوم بوضع شروط
ايقاف العمليات الحربية بالاتفاق مع بعضها وبعد مشاورات سرية تجريها
مع ايطاليا ، ثم تنصح الباب العالي بقبول هذه الشروط ^٢ .

لقد جاء هذا الاقتراح منسجماً مع الجهود التي كانت تبذلها الدبلوماسية
الإنجليزية لتقوية النفوذ الإنجليزي في الدولة العثمانية ، وابعاد الحكومة
العثمانية عن الميل نحو المانيا . ففي تركيا اتسعت المعارضة لحزب « الأتحاد
والترقي » الحاكم واستقطبت العناصر المستاءة من الوضع حول حزب
« الحرية والأئتلاف » الذي تشكل في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١١ ،
والذي كان زعيمه الفكري كامل باشا ذا الميول الإنجليزية الذي يتمتع
بمساندة إنجلترا وتأييدها . اضافة إلى ذلك قامت في تركيا في يناير (كانون

British Documents, vol. IX, part 1, No. 351, p. 353.

١
٢ العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ٢ ، رقم ٥٠٦ ، ص ١٦٦ ؛ انظر
ايضاً : -

British Documents; vol. IX, part 1, No. 369, p. 367.

ثاني) ١٩١٢ أزمة سياسية حادة كان من نتائجها أن حل البرلمان وأجريت الاستعدادات لاجراء انتخابات جديدة ، ولهذا فقد كان على الدبلوماسية البريطانية أن تتجنب أى ضغط على الدولة العثمانية لكي تسهل جهود المعارضة الموالية لانجلترا وتيسر لها سبل النصر على حكومة الاتحاد والترقي الميالة لألمانيا .

غير أنه تحتم بعد ذلك على الحكومة البريطانية أن توافق على وجهة نظر روسيا التي اعترضت على اقتراح كبرى السالف الذكر وأشارت إلى أنه من الضروري في بداية الأمر أن تتعرف الدول على الحد الأدنى من الشروط التي تقبل ايطاليا بموجبها وساطة الدول ، وأن تجري هذه الدول بناءً على ذلك مشاورات في اسطنبول تقترح خلالها على الباب العالي أن يقبل بالتعويض مقابل سحب القوات التركية من الأقاليم العثمانية في شمال افريقيا^١ .

وبعد أن وافقت الدول الأخرى على اقتراح روسيا هذا قام سفراؤها في روما بسؤال الحكومة الإيطالية في ٩ مارس (آذار) ١٩١٢ عن الشروط التي تقبل بموجبها وساطة الدول^٢ . وبعد ذلك بستة أيام تسلم هؤلاء جواب الحكومة الإيطالية الذي طالبت فيه باعتراف الدول بسيادة ايطاليا على طرابلس وبرقة ، وسحب القوات العثمانية من كلا الأقليمين واعادة الرعايا الإيطاليين في الدولة العثمانية إلى وضعهم قبل الحرب ، وأيدت استعدادها للأعتراف بسلطة السلطان الدينية ودفعت تعويض للحكومة العثمانية عن ممتلكاتها غير المنقولة في طرابلس وبرقة وغير ذلك^٣ .

١ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ٢ ، رقم ٥٠٦ ، ص ١٦٦ ؛ انظر ايضاً : -

British Documents; vol. IX, part 1, No. 369, 367. ٢

British Documents; vol. IX, part 1, 381, p. 376. ٣

British Documents; vol. IX, Part 1, Enclosure in No. 392, pp. 378-380. ٣

ولم تكن الشروط الإيطالية هذه مقبولة للدولة العثمانية التي كان العزم فيها قد انعقد على مواصلة الحرب^١. عند ذلك اقترحت الحكومة الروسية أن تعمل الدول على معرفة الشروط التي تقبل الحكومة العثمانية إيقاف الحرب بموجبها^٢، ووافقت الدول على هذا الاقتراح فقام سفراؤها في اسطنبول في ١٦ أبريل (نيسان) ١٩١٢ بسؤال الحكومة العثمانية شفهيّاً عن شروطها لعقد الصلح^٣. وفي ٢٣ ابريل (نيسان) اجابت الحكومة العثمانية على هذا السؤال فذكرت أنها لا تقبل الوساطة الا على اساس الاعتراف بسيادة السلطان الفعلية التامة، وعلى اساس أن تتخلى ايطاليا رسمياً عن ضم الأقاليم العثمانية في شمال افريقيا اليها وأن تلتزم مسبقاً بسحب قواتها من هناك^٤.

وهكذا ظهر أن الشروط العثمانية والإيطالية متعارضة لا يمكن التوفيق بينها، الأمر الذي لم يترك أية امكانية لعقد الصلح بين الدولتين لأن كلاّ منهما كان يصر على مطالبه وهكذا فشلت محاولة الدول الكبرى للتوسط.

وهنا بدأ الإيطاليون يعتقدون بضرورة نقل العمليات الحربية إلى منطقة المضائق لان ذلك في رأيهم يدفع الدول العربية الأوربية إلى مضاعفة نشاطها في اسطنبول من أجل دفع الحكومة العثمانية إلى الدخول في مفاوضات مباشرة مع ايطاليا من جهة، ويزيد من حرجة موقف العثمانيين ويدفعهم إلى طلب الصلح من جهة أخرى. لقد أرادت الحكومة الإيطالية أن تنتهي من الحرب مع الدولة العثمانية بسرعة لكي تتفرغ لقضايا البلقان التي أخذ

١ انظر حول ذلك :-

British Documents; vol. IX, part 1, No. 385, p. 383.

British Documents; vol. IX, part 1, No. 387, p. 384.

British Documents; vol. IX, part 1, No. 391, p. 385.

٢
٣
٤ العلاقات الدولية : قسم ٢ ، جزء ٩١ ، رقم ٨٠٠ ، ص ٩٤٤ ، انظر ايضاً :-
« The Times » April 24, 1912, and May 1, 1912.

الوضع يتعقد فيها أكثر فأكثر وينذر بخطر جدي .

ولكن احتمال انتقال العمليات الحربية إلى المضائق قد أربع الحكومة البريطانية إلى حد كبير بحيث تخلى كـري عن حياده وهدد ايطاليا في ٤ مارس (آذار) ١٩١٢ بأنه « سوف يحتفظ لنفسه بحرية العمل في حالة توقف التجارة المحايدة خلال الدردنيل^١ ». هذا إضافة إلى أنه كان قد طلب قبل ذلك من الدول أن تحصل من الحكومة الإيطالية على تأكيد بأنها لن تقوم بعمليات حربية في المضائق والمياه المجاورة لها^٢ . ولكن حماس كـري في هذه القضية قوبل ببرود من جانب الدول الأخرى ، ولم تسانده غير فرنسا التي طالبت أيضاً باستثناء الساحل السوري من العمليات الحربية ، الأمر الذي شجع ايطاليا فقام اسطولها بقصف المضائق في ١٨ أبريل (نيسان) ١٩١٢ فأسرعت الدولة العثمانية إلى اغلاق المضائق في وجه السفن واعلمت الدول الكبرى بذلك املاً في أن تدفع هذه الدول إلى مساندةها ضد العدوان الإيطالي .

لقد كان لقصف المضائق صدى مختلف في عواصم الدول الكبرى . وبالنسبة للدبلوماسية البريطانية الحريضة دوماً على الاخلاص لمبدأها الرئيسي وهو الاحتفاظ بحرية العمل في كل الظروف ، فانها رفضت أن تعد بشئ فيما يتعلق بالخطوات التي ستقوم بها انجلترا بهذا الشأن . غير أنه أصبح مفهوماً في الوقت نفسه أن انجلترا لن تحتج ضد اغلاق المضائق وانما ستكتفي بابداء رغبتها بشكل ودي في أن تفتح المضائق بسرعة^٣ وبالفعل فقد طلب من السفير الإنجليزي في اسطنبول أن يعبر للحكومة العثمانية عن أمله في أن يعاد فتح المضائق في وقت قصير قدر الامكان^٤ .

British Documents, vol. IX, part 1, No. 376, p. 372.

British Documents; vol. IX, part 1, No. 370, p. 368.

British Documents; vol. IX, part 1, No. 397, pp. 388-389

٤ العلاقات الدولية ، سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ٢ ، رقم ٧٩٨ ، ص ٤٤٥ .

غير أن كبرى اضطر تحت ضغط شركات الملاحة إلى أن يطلب من الحكومة العثمانية في ٣٠ أبريل (نيسان) ١٩١٢ أن تقوم بفتح ممر موقت ولمدة كافية من أجل أن تمر السفن المحجوزة خلال المضائق^١. كما توجه في الوقت نفسه إلى الحكومة الإيطالية طالباً منها أن تمتنع عن مهاجمة المضائق لفترة كافية لكي تقوم الحكومة العثمانية بفتحها للسفن التجارية خلال هذه الفترة^٢.

وحذت الدول الكبرى الأخرى حذو إنجلترا خصوصاً روسيا وفرنسا فطالبت الحكومة العثمانية بإعادة فتح المضائق. وهكذا اضطرت الحكومة العثمانية تحت ضغط الدول وبعد أن اقتنعت بخطأ تقديراتها المتعلقة باستخدام غلق المضائق كوسيلة ضغط على الدول الكبرى من أجل الحصول على مساندتها ضد العدوان الإيطالي، إلى أن تعلن عن نيتها في فتح المضائق حالما تنتهي من رفع الألغام^٣، وبالفعل أعيد فتح المضائق للسفن التجارية في ٥ مايو.

وازدادت من ذلك الوقت رغبة إنجلترا وفرنسا أيضاً في إنهاء الحرب بسرعة، منذ كان كبرى على حد تعبير السفير الروسي في لندن «تزايد رغبته في أن يعقد الصلح بسرعة»^٤. ذلك أن تنامي الاسطول الإيطالي وتزايد قوته واستيلاء إيطاليا على جزر الدوديكانيز وهو اجراء لحأت إليه الحكومة الإيطالية كوسيلة ضغط أخرى على الدولة العثمانية بعد

١ British Documents; vol. IX, part 1, No. 399, p. 390.

العلاقات الدولية؛ سلسلة ٢، جزء ١٩، قسم ٢ رقم ٨٣٥، ص ٤٨٤.

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 400, p. 390.

٣ Entente Diplomacy; No. 202, p. 169.; British Documents; vol. IX, part 1, No. 402, p. 391.

٤ العلاقات الدولية؛ سلسلة ٢، جزء ١٩، قسم ٢ رقم ٨٤٥، ص ٤٩١.

Entente Diplomacy; No. 213, p. 176.

فشل عملية الدردنيل قد أثار قلقاً كبيراً في لندن وباريس خصوصاً أن تعزيز المواقع الإيطالية في حوض البحر المتوسط الشرقي يعني بالتالي ونظراً لوجود إيطاليا في الحلف الثلاثي خرق توازن القوى لصالح ألمانيا في هذه المنطقة ذات الأهمية البالغة لأنجلترا وفرنسا على السواء . لقد كان تعزيز الوجود الإيطالي في البحر المتوسط خطراً أخذ يحسه الفرنسيون على مواقعهم في سوريا ولبنان والانجليز على مواصلاتهم وقواعدهم في البحر المتوسط وكذلك على استثماراتهم في مصر والسودان ^١ . لقد كان الصلح بالنسبة للانجليز ضرورياً أيضاً لكي يضمنوا نجاح المفاوضات التي كانت جارية آنذاك بين الحكومتين البريطانية والعثمانية حول سكة حديد بغداد والخليج العربي ^٢ .

وهكذا بادرت الحكومة الفرنسية مدفوعة بالاعتبارات السابقة ونخبستها من أن تأخذ ألمانيا مبادرة الوساطة فاقترحت على الدول عقد مؤتمر يتولى وضع شروط الصلح بين إيطاليا والدولة العثمانية . لقد كان على المؤتمر بموجب الاقتراح الفرنسي أن يتقيد بشدة بالقضايا التي تتعلق مباشرة بالحرب التركية - الإيطالية ، وأن تقوم الدول الكبرى المشتركة فيه بالتوقيع قبل ان يعقد المؤتمر المذكور على برتوكول ينص على «عدم مصلحتها» في المناطق الشرقية من البحر المتوسط ^٣ .

لقد رفضت الحكومة البريطانية هذا الاقتراح الفرنسي ، فقد خشي كري من أن المؤتمر سيؤدي إلى إبراز التناقضات بين المعسكرين الأوربيين المتنافسين - الحلف الثلاثي والوفاق الثلاثي ، الأمر الذي سيهدد

British Documents; vol. X, part 11, No. 387, p. 590.

١
٢ لقد كشفت صحيفة «التايمس» في عددها الصادر في ٧ مايو (ايار) ١٩١٢ عن وجود مثل هذه المحادثات

British Documents; vol. IX, part 1, No. 409, p. 398

مفاوضات مباشرة بين البلدين المتحاررين لم تلبث ان انقطعت بسبب قيام ايطاليا في ١٩ يوليو (تموز) بهجوم جديد على المضائق وذلك عندما كانت ايطاليا أكثر إلى الحلف الثلاثي . اضافة إلى ذلك تصرف كبرى بشكل سلبي تجاه صيغة « عدم المصلحة » فقد اعتبر أن اقرارها سيؤدي إلى تقييد روسيا في مسألة المضائق وهو ما لم يكن يجذبه كبرى آنذاك^١ . غير أن ذلك لا يعني اطلاقاً ان إنجلترا كانت مستعدة لمساندة روسيا في قضية المضائق . ان الدبلوماسية البريطانية لم تكن لتسمح حتى بمجرد التفكير في امكانية تغيير نظام المضائق لصالح روسيا . ومع ذلك فإنها كانت تأمل ان تحقق بواسطة هذا الموقف الذي يبدو ظاهرياً فقط لصالح روسيا الفوائد التالية :

أولاً ، انها كانت تحاول عدم اثاره استياء القيصرية الروسية نظراً لأن مساندة روسيا ضرورية لانجلترا في نزاعها الحتمي المقبل مع المانيا . ولهذا كان كبرى يأمل بموقفه هذا ان يلطف من الانطباع السيئ الذي تكون في روسيا بسبب رفضه منذ مدة وجيزة (اثناء المحادثات الروسية - التركية بهذا الشأن في نهاية ١٩١١) تغيير نظام المضائق ، خصوصاً انه كان يعلم جيداً بان روسيا لن تثير مجدداً مسألة المضائق نظراً لعدم توافر الظروف المناسبة آنذاك ، فهي والحالة هذه اذن لن تستفيد اطلاقاً من موقفه ذاك . ثانياً ، انطلق كبرى في المسألة الراهنة من مبدأ السياسة الانجليزية القديم القاضي بضرورة بقاء مسألة المضائق كوسيلة في يد الحكومة البريطانية للضغط على روسيا والاحتفاظ بها إلى جانبها ودفعها عن طريق التلويح لها بالمضائق إلى دخول الحرب في الجانب الذي ستكون فيه إنجلترا ، ومن هنا فان توقيع روسيا لصيغة « عدم المصلحة » يجرّد إنجلترا من هذه الوسيلة .

١ انظر :

British Documents, vol. IX, part 1, No. 410, p. 399.

ثالثاً ، لم تكن إنجلترا نفسها تريد أن ترتبط باتفاق يحرّمها من حرية العمل في شؤون البحر المتوسط . لقد كان الانجليز يدركون جيداً الأهمية الاستراتيجية الفائقة للبحر المتوسط ولذلك فان تأمين سيطرتهم فيه كان بالنسبة لهم مهمة لا تقبل التأجيل لأن ذلك يعني دعم المواقع الانجليزية في مصر والشرق الأدنى عموماً ، ولهذا فان كبرى عندما رفض صيغة « عدم المصلحة » محتجاً بانها لا تلائم روسيا كان يحاول ان يخفي الحقيقة وهي عدم ملاءمة هذه الصيغة لانجلترا نفسها .

لقد تخلت الحكومة الفرنسية عن اقتراحها المذكور بعد أن رفضته كذلك الدول الكبرى الأخرى . وفشل أيضاً اقتراح آخر تقدمت به النمسا . غير انه استجبت حتى ذلك الوقت في كل من ايطاليا والدولة العثمانية ظروف كان من نتيجتها ان زادت الرغبة فيها لانهاء الحرب وعقد الصلح . لقد انتصرت فكرة انهاء الحرب في الدولة العثمانية نظراً لسوء الحالة المالية فيها بسبب الحسائر الكبيرة التي كانت تسببها لها الحرب ، ولتنامي النضال ضد السيطرة التركية في شبه جزيرة العرب ونهوض حركة التحرر الوطني في ألبانيا والبلقان عموماً وكذلك بسبب ما اخذ يتردد من اخبار حول عقد الدول البلقانية حلفاً موجهاً ضد الدولة العثمانية . فمن أجل أن تنفرغ الحكومة العثمانية لهذه المشاكل جميعها كان لا بد لها أن تنهي حربها مع ايطاليا .

ومن الجهة الأخرى كانت بايطاليا حاجة إلى السلم أيضاً ، وكانت حاجتها هذه نابعة من ظروف موضوعية على رأسها ما ظهر في تلك الفترة من احتمال تعقد الوضع في البلقان ورغبة الحكومة الإيطالية في التنفرغ والاستعداد لمواجهة نوايا النمسا في هذه المنطقة وعلى الأخص في ألبانيا ورغبتها أيضاً في انهاء مقاومة الليبيين وهو أمر كان الاستعماريون الطليان يعتقدون بان من الاسهل تحقيقه بعد عقد الصلح مع الدولة العثمانية .

وكان من نتيجة ذلك أن بدأت في ١٢ يوليو (تموز) ١٩١٢ في لوزان

الدولة العثمانية تعاني أزمة سياسية حادة كان من نتيجتها ان استقالت الحكومة تحت ضغط الجيش . ولم تلبث الحكومة الجديدة التي الفت من العناصر الميالة بدرجات متفاوتة إلى انجلترا ان جددت المفاوضات التي طالت كثيراً وأدت في النهاية إلى التوقيع على معاهدة اوشي في ١٥ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٢ التي فقدت الدولة العثمانية بموجبها اقليمها في شمال افريقيا إلى الأبد .

وهكذا تخلت الدولة العثمانية عن ليبيا وتركت الشعب الليبي وحده يقاوم الأستعمار الإيطالي مقاومة استمرت فترة طويلة بعد التوقيع على معاهدة اوشي .

لقد حاولت الدبلوماسية البريطانية استغلال الحرب التي قامت بين إيطاليا والدولة العثمانية من أجل تقوية النفوذ الإنجليزي في كل من هذين البلدين ، غير انها اصطدمت في جهودها هذه بمقاومة ضارية من جانب المانيا التي كانت تسعى إلى تعزيز مواقعها القديمة في الدولة العثمانية من جهة وإلى احراز مواقع جديدة في هذه الدولة من جهة ثانية ، وكذلك إلى الاحتفاظ بايطاليا ضمن الحلف الثلاثي ومقاومة مناورات الدبلوماسية الإنجليزية الهادفة إلى اخراج ايطاليا منه . وكانت نتيجة هذا الصراع العنيف بين أقوى دولتين في تلك الفترة ان حققت المانيا هدفها بابقاء ايطاليا مخلصه للحلف الثلاثي الذي تعززت مواقعها في البحر المتوسط نتيجة لاستيلاء ايطاليا على طرابلس وبرقه ، بينما كان نجاح انجلترا جزئياً فعلى الرغم من ان الوضع في تركيا مال لمصلحتها نسبياً الا ان تعزيز مواقع ايطاليا وتبعاً لذلك مواقع الحلف الثلاثي في البحر المتوسط اقلق المسؤولين الأنجليز غاية القلق . ومن هنا نبعت حمى التحصينات والتعزيزات العسكرية التي انتابت انجلترا في تلك الفترة ، ومن هنا أيضاً كان مبعث فكرة التعاون العسكري الوثيق مع فرنسا تلك الفكرة التي تجسدت في الرسائل التي

تبودلت بين كري والسفير الفرنسي في لندن كامبون في ٢٢-٢٣ ،
نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٢ .

وهكذا فان الحرب التركية - الإيطالية زادت من توتر الوضع الودي
وشددت من سباق التسلح وعمقت أكثر التناقضات بين الكتلتين الأوربيتين
المتناسقتين آنذاك : الحلف الثلاثي والوفاق الودي الثلاثي وقربت من
لحظة الصدام بينهما .

الدكتور هاشم التكريتي